بـاب

قالَ أبو العباس: قال أعرابيٌّ:

[٣٠٣] كُـلُّ آمْـرِىءٍ ذِي لِـحْيَـةٍ عَـثْـوَلِيَّـةٍ يَـقُـومُ عليـهـا ظَنَّ أنَّ لـهُ فَـضْـلَا
ومَا الفَضْلُ في طُولِ السِّبالِ وعَرْضِها إذَا اللَّهُ لم يَجْعَلْ لِصَاحِبِهَا عَقْلَا[1]

«عَثْوَلِيَّة» يقول: كَثيرةٌ، والمُسْتَعْمَلُ يقالُ: رجلٌ «عِثْوَلٌ» إذا كانَ كَثيرَ الشَّعَر، وأصلُ ذلك في الرأسِ واللِّحية، وبناهُ الأعرابيُّ بناء «جَدْوَلٍ» كأنه[2] «عَثْوَلٌ» ثم نَسَب إليه. «والسَّبَلَةُ» مُقَدَّمُ اللِّحية، يقال لِمَا أسْبَلَ من الشاربين «سَبَلَتَانِ» وتقول العربُ: أخَذَ فلانٌ شَفْرةً فَلتَم[3] بها سَبَلَةَ بعيره، أي نَحَرَهُ، واللَّتْمُ: الشَّقُّ، فهذا ما أسْبَلَ من جِرانِه[4].

وقال بعضُ المُحْدَثين:

ومـا حُسْنُ الـرِّجـال لهم بفَخْـرٍ[5] إذا مـا أخْـطَأ الحُسْنَ البَيـانُ [١/١٣٢]
كَـفَـى بـالـمَـرْءِ عَـيْـبـاً أنْ تَـرَاهُ لـهُ وجـهٌ ولـيس لـه لِـسَـانُ

---

(١) بعده في ر: «ويروى لحاملها».
(٢) في الأصل وهـ: كأنه قال.
(٣) بهامش ي: بالتاء مثناة.
(٤) قال المرصفي: «يريد ما ذكر من سبلة البعير، وأسبل استرخى. والجران جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس أو هو مقدم العنق أو باطنه». رغبة الأمل ٥/٦٠.
(٥) في أ ود وي وهامشي الأصل وهـ: «بحسن».

وقال آخر:

إنِّي على مَـا تَـزْدَرِي من دَمَـامَتِي ... إذَا قِيسَ ذَرْعي بـالـرِّجـالِ طـويـلُ

ونظر يزيدُ بنُ مَزْيَدٍ الشَّيْبانيُّ إلى رجل ذي لحيةٍ عظيمةٍ، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره، فـإذا هو خَاضِبٌ، فقال: إنَّك مِنْ لِحيَتِكَ في مَؤُونةٍ! فقال: أجَلْ ولذلك أقولُ:

لَهـا دِرْهَمٌ للدُّهْنِ في كـلِّ جُمْعَـةٍ ... وآخَـرُ لِـلْحِـنَّـاءِ يَـبْـتَـدِرَانِ

ولَـوْلا نَـوالٌ من يَـزيـدَ بنِ مَـزْيـدٍ ... لَصَـوَّتَ في حـافـاتِهـا الجَـلَمَـانِ

وقال إسحاق بنُ خَلَفٍ يصفُ رجلاً بالقِصَرِ وطُولِ اللِّحية:

مـا سـرَّنـي أنَّنـي فـي طُـولِ دَاوُدِ ... وأنَّـنـي عَـلَمٌ فـي البَـأْسِ والـجُـودِ

مَـاشَيْتُ دَاودَ فاسْتُضْحِكْتُ من عَجَبٍ ... كـأنَّـنـي وَالِـدٌ يَـمْـشِـي بـمـولُـودِ

مـا طُـولُ دَاوُدَ إلاَّ طُـولُ لِـحْيَتِـه ... يَـظَلُّ دَاودُ فـيـهـا غَـيْـرَ مَـوْجُـودِ

تُكِنُّـهُ خُـصْلةٌ مـنهـا إذا نَـفَحَـتْ[1] ... ريحُ الشِّتَاءِ[2] وجفَّ المـاءُ في العُودِ

كـالأُنْبُجَـانِيِّ مَصْـقُـولاً عَـوَارِضُهَـا ... سَـوْداءُ في لِينِ خَدِّ الغَـادَةِ الـرُّودِ[3]

أجْـزَى وأغْنَى من الخَزِّ الصَّفِيقِ ومِنْ ... بِيضِ القَطائِفِ[4] يـومَ القُـرِّ والسُّودِ[5] [٣٠٤]

إنْ هَبَّتِ الـرِّيـحُ أدْنَـتْـهُ إلى عَـدَنٍ ... إنْ كَـانَ مـالَفَّ منهـا غيْـرَ مَعْقُودِ

***

---

(١) بهامش ي: نفحت بالحاء غير معجمة.

(٢) في ج: ريح الشمال.

(٣) الأنبجاني كساء من الصوف له خمل ولا علم فيه ينسب إلى منبج على غير قياس. والغادة المرأة اللينة. والرود الحسنة الثياب. عن رغبة الآمل ٦١/٥.

(٤) القطائف جمع قطيفة وهي كساء مربع غليظ له خمل ووبر. رغبة الآمل ٦٢/٥.

(٥) بعده في زيادات ر: «القُرّ بالقاف يريد البَرْد، ويروى بالغين، يريد السحائب البيض وجعلها غرّاً لبياضها». وفي أ: يوم الغرّ.

وفي الحديث[1]: «مِن سعادة المرْءِ خِفَّةُ عارِضَيْهِ». وليس هذا بناقضٍ لما جاءَ في إعْفاء اللِّحى وإحْفاءِ الشَّوارِبِ[2]، فقد رُوِيَ أنهم قالوا: لا بأسَ بأخْذِ العارِضَيْنِ والتَّبطِينِ[3]. وأما الإعفاء فهو التَّكْثِير، وهو من الأضدادِ[4]، قال الله عز وجل: ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾[5] أي: حتى كَثُرُوا، ويقال: عَفَا وَبَرُ الناقةِ: إذا كَثُرَ، قال الشاعرُ:[6]

ولَكِنَّنا نُعِضُّ السَّيْفَ منهـا ... بِأَسْؤُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ

والكُومُ: العِظامُ الأسْنِمَةِ، واحدتها: كَوْماءُ[7]، ويقال: عَفَا الرَّبْعُ:[8] إذا دَرَسَ، ومِنْ ذلك:

..... عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاءُ[9]

أي الدُّروسُ

---

(١) انظر الفائق ٢/٤٢٢، والنهاية ٣/٢١٢، ورغبة الأمل ٥/٦٢.
وقال الشيخ المرصفي: «كأنّ أبا العباس فهم من خفة عارضيه أن يخفّفها صاحبها، وليس كما فهم، وإنما معناه خفة عارضيه خلقة لا بفعل فاعل». وقال الخطابيّ: وخفتها كناية عن كثرة الذكر لله تعالى وحركتها به. وقال ابن الأثير: وقيل أراد بخفة العارضين خفة اللحية، وما أراه مناسباً.

(٢) منه ما أخرجه مسلم في كتاب الطهارة برقم ٢٥٩ (٥٢، ٥٣) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى. وعنه عن النبي ﷺ أنه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحية. والحديث بنحوه أخرجه البخاري في كتاب اللباس برقم ٥٨٩٢. وانظر فيض القدير ١/١٩٨ برقم ٢٦٨.

(٣) التبطين أن يؤخذ الشعر من تحت الذقن والحنك. وقد روي عن فقيه العراق إبراهيم بن يزيد النخعي أنه كان يبطن لحيته ويأخذ من جوانبها. رغبة الأمل ٥/٦٢.

(٤) انظر أضداد التوزي ـ مجلة المورد ٨/٣/١٦٨ ـ ١٦٩، وأضداد ابن الأنباري ٨٦ ـ ٨٨.

(٥) سورة الأعراف: ٩٥.

(٦) وهو لبيد. ديوانه ص ١٨٦.

(٧) قوله والكوم.. كوماء ليس في ج وهو مؤخر في الأصل، وموضعه بعد قوله أي الدروس.

(٨) في ي ود: الرسم.

(٩) صدره: تحمّل أهلها عنها فبانوا.
والبيت لزهير بن أبي سلمى. ديوانه ق ٣/٨ ص ٥٦، وأضداد التوزي ١٦٩، وابن الأنباري ٨٦.

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك: إنِّي لَأعْجَبُ مِن ثلاثةٍ: من[1] رجلٍ قَصَّرَ شَعَرَهُ ثم عادَ فأَطَالَهُ، و شَمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عاد فأَسْبَلَهُ، أو تَمَتَّعَ بِالسَّرَارِيِّ ثم عادَ إلى المَهِيرَاتِ!!

واحدةُ المَهِيرَاتِ «مَهِيرَةٌ» وهي الحُرَّةُ المَمْهُورَةُ، و«مَفْعُولٌ» يَخْرُجُ إلى «فَعِيلٍ» كمقتولٍ وقَتِيل، ومجروحٍ وجَرِيح، قال الأعشى:[2] [٢/١٣٢]

ومَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ وأُخْرَى يُقَالُ لها فَادِهَا[3]

فهذا المعروفُ في كلامِ العربِ: «مَهَرْتُ المَرأَةَ فهي مَمْهُورَةٌ» ويقالُ ـ وليس بالكثيرِ ـ: «أَمْهَرْتُها فهي مُمْهَرَةٌ»؛ أنشدني[4] المازنيُّ:

أُخِذْنَ آغْتِصَاباً خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأُمْهِرْنَ أَرْماحاً مِنَ الخَطِّ ذُبَّلَا[5]

***

وأهل الحجازِ يَرَوْنَ النِّكاحَ العَقْدَ دونَ الفِعْل، ولا يُنْكِرُونَه في الفعل، ويحتجُّون بقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنَاتِ، ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾[6] فهذا الأَشْيَعُ في كلام العرب، قال الأعْشَى:[7]

وأَمْتَعْتُ نَفْسِي مِنَ الغَانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحاً وإِمَّا أُزَنّْ[8]

ومِن كُلِّ بَيْضَاءَ رُعْبُوبَةٍ لها بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ[9] [٣٠٥]

---

(١) ليس في الأصل وج.

(٢) ديوانه ق ٨/٥٠ ص ١١١.

(٣) بعده في زيادات ر: «فادها: من فديت الأسير. وهو يصف سَبْياً أُخِذ فيه إماء وحرائر».

(٤) في الأصل: أنشدنا.

(٥) بعده في زيادات ر: «عجرفية: جافية. خطبة: مصدر معنى».

(٦) سورة الأحزاب: ٤٩.

(٧) ديوانه ق ٢/١٦، ١٧ ص ٥٣ وفي الرواية اختلاف.

(٨) في د ومتن ي: وأمتعت عيني.

(٩) بعده في زيادات ر: «قوله أُزَن أراد أزنّ، ثم حذف الياء وخفف النون فقال أُزَنْ».

ويكونُ النِّكاحُ الجِمَاعَ، وهو في الأصل كِنايةٌ، قال الراجزُ:

إذا زَنَيْتَ فـأجِـدْ نِـكَـاحـا وأعْـمِـلِ الـغُـدُوَّ والـرَّوَاحَـا

والكِنايةُ تَقَعُ عن هذا الباب كثيراً، والأصلُ ما ذَكَرْنَا لك. وقال[1] رسولُ الله ﷺ: «أنَا مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ»[2]. ومِنْ خُطَب المسلمين: «إنّ الله عزَّ وجلَّ أحَلَّ[3] النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفَاحَ».

والكنايةُ تَقَعُ عن الجِمَاعِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمْ﴾[4] فهذه كنايةٌ عن الجماع.

وقال[5] أكثرُ الفقهاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿أوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[6] قالوا: كنايةٌ عن الجماع، وليس الأمرُ عندنا كذلك، وما أصِفُ مذهبُ أهلِ المدينةِ، قد فُرِغَ[7] من النكاحِ تصْرِيحاً[8]، وإنما المُلاَمسةُ أنْ يَلْمِسَهَا الرجلُ بِيَدٍ أو بإدْناءِ جَسَدٍ من جسدٍ، فذلك يَنقضُ الوضوءَ في قول أهل المدينة، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذِكْرِ الجُنُبِ ﴿أوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[9].

---

(١) في الأصل وج: ومن ذلك قول رسول الله إلخ.

(٢) من حديث أورده السيوطي في الجامع الصغير ١/٣٦١ برقم ٢٦٨٢، وانظر فيض القدير ٣/٣٦ - ٣٧ برقم ٢٦٨٢. وعزاه للبيهقي في الدلائل عن أنس. وانظر طبقات ابن سعد ١/٦٠ - ٦١.
وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث في الكامل ٤٧٣ بتحقيقه: «ورد هذا المعنى في أحاديث كثيرة، بعضها مرسل صحيح الإسناد، وبعضها موصول في إسناده شيء، ومجموعها يؤخذ منه صحة المعنى وثبوته. وانظر شيئاً مفصلاً من ذلك في تاريخ ابن كثير ٢/٢٥٥ - ٢٥٦» اهـ.

(٣) في الأصل: أحل لكم.

(٤) سورة البقرة: ١٨٧.

(٥) في ر: قال، بلا الواو.

(٦) سورة النساء: ٤٣، وسورة المائدة: ٦.

(٧) في الأصل: وقد فرغ. وفي ي ود: لأنه قد فرغ. وبهامش ي ما نصه: «الرواية المشهورة بإسقاط لأنه».

(٨) في قوله عزَّ وجل: ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾، وفي سورة المائدة في قوله عزَّ وجلّ، ﴿وإن كنتم جنباً فاطّهّروا﴾.

(٩) قال الشيخ أحمد شاكر فيما علقه على الكامل ٤٧٣ بتحقيقه: «الذي قال أبو العباس مذهبه ورأيه، وليس هذا =

وقولُه: عزَّ وجل: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[1] كنايةٌ بإجماعٍ عن قضاءِ الحاجة[2]، لأنَّ كلَّ مَنْ أكلَ الطعامَ في الدنيا أنْجَى، يقال: نَجَا وأنْجَى: إذا قام لحاجة الإنسان.

وكذلك: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[3]: كنايةٌ عن الفروج. ومثلُه: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾[4] فانما الغائطُ كالوَادِي، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِبَ[5]:

وكَمْ مِنْ غَائطٍ مِنْ دُونِ سَلْمَى قليلِ الإنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ [١/١٣٣]

**

= القول بالراجح عندنا، ولا هو مما تؤيده الدلائل الصحاح، بل أدلّة السنة تدلّ على أن الملامسة أو اللمس في الآية - على اختلاف القراءتين - إنما يكنى بها هنا عن الجماع، من أجل أنه قد صحّ الحديث بأن النبيّ ﷺ قبّل بعض أزواجه ثم صلّى ولم يتوضأ، وهو حديث لا شك في ثبوته، وهو قرينة أنّ المراد المعنى المجازي لا الحقيقي وقد فصلنا القول في ذلك في شرحنا على سنن الترمذي ١/١٣٩ - ١٤٢» اهـ.

وانظر تفسير ابن كثير ٢/٢٧٥ - ٢٧٩، وتفسير القرطبي ٥/٢٢٣ - ٢٢٨.

(١) سورة المائدة: ٧٥.

(٢) علق الشيخ أحمد شاكر على هذا الموضع من الكامل بتحقيقه ٤٧٤ بقوله: «دعوى الإجماع هنا غير جيدة، فإن كثيراً من المفسرين لا يرون إلا المعنى الحقيقي هنا، وهو الراجح عندهم، قال الطبري في التفسير ٦/٢٠٣: «إنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإن من كان كذلك فغير كائن إلهاً، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوباً لا ربّاً». فأنت ترى أنه لم يفسره بغير المعنى الحقيقي ولم يذكر الكناية أصلاً وذكرها غيره، وليست الكناية هنا واضحة، لأنه وإن وجدت العلاقة بين المعنيين إلا أن القرينة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي وتوجب النقل إلى المجازي غير موجودة أصلاً، فلا تقبل، ثم إن المعنى الحقيقي معنى عال دقيق، كما أوضحه الطبري، فلا مسوغ للعدول عنه» اهـ.

وانظر تفسير ابن كثير ٣/١٥٠، وتفسير القرطبي ٦/٢٥٠.

(٣) سورة فصلت: ٢١.

(٤) سورة النساء: ٤٣، وسورة المائدة: ٦.

(٥) شعره ق ٤٤/٢٩ ص ١٣٣، والأصمعيات ق ٦١/٢٩ ص ١٧٦. وليس به كتيع أي أحد. والإنس ضبط في الأصل بكسر الهمزة وضمّها وعليه «معاً». وسيأتي البيت ص ٨٥٧.

يقالُ:[1] «وَهِمَ» الرجلُ «يَوْهَمُ»: إذا شَكَّ، وهو الأجْوَدُ، ويجوزُ: «يَيْهَمُ، ويِيهَمُ، وياهَمُ» لِعِلَلٍ، وكذلك ما كان مِثْلَهُ، نحو: وَجِلَ يَوْجَلُ، ووَجِلَ يَوْحَلُ، ووَجِعَ يَوْجَعُ، ويجوز في «وَهِمَ» أن تقول: «يَهِمُ» فإنَّ المعْتَلَّ مِنْ هذا يجيءُ على مثال: حَسِبَ يحْسِبُ، مثل: وَلِيَ الأميرُ يَلي، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب.

***

وقال رجلٌ أحْسِبُهُ من بَنِي تَمِيمٍ:[2]

[٣٠٦] لَا تَسْأَلَنَّ الخَيْلَ يا سَعْدُ مَالَها ... وكُنْ أُخْرَيَاتِ الخَيْلِ عَلَّكَ تُجْرَحُ
لَعَلَّكَ تَحْمِي عَنْ صِحَابٍ بَطَعْنَةٍ ... لها عَانِدٌ يَنْفِي الحَصَا حِينَ يَنْفَحُ
وأَكْرِمْ كريماً إنْ أَتَاكَ لحاجةٍ ... لِعَاقِبَةٍ إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ[3]

قوله: لا تسألنَّ الخيلَ يا سعدُ مَالَها

يقول: لا تَتَخَلَّفْ عن القِتال وتَسْأَل عن أخبار القومِ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِلٌ:[4]

---

(١) كتب بهامش ي ود ما نصه: «هذا الكلام لا يتصل بما قبله ولا بما بعده إلى قوله وقال رجل أحسبه من بني تميم».

وقال الشيخ المرصفي: «كأن هنا جملة سقطت ذكر فيها مادة الوهم، فشرحها» رغبة الأمل ٦٧/٥.

(٢) هو القاسم بن المُذَيْل كما قال البحتري. انظر حاشية الشيخ العلامة الميمني في سمط اللآلي ٥٠.

(٣) بعده في زيادات ر:

بذا فامدحيني واندبيني فإنني ... فتى تعتريه هزة حين يمدح

وقد سلف هذا البيت مع آخر ص ١٩٥.

وبعد هذا البيت في زيادات ر: «إذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرّك للشجر ورق رطب فيقال: أخلف الشجر وتروّح».

(٤) البيتان من أبيات في الأغاني ٥٠/٥.

ليسَ مِثْلِي يُخَبِّـرُ القَـوْمَ عَـنْ آ بَـائِهِمْ قُتِّلُوا ويَـنْسَـى القِتَـالاَ[1]
لم أَرِمْ حَـوْمَـةَ الكَتِيبَـةِ حَتَّـى حُـذِيَ الـوَرْدُ من دِمَـاءٍ نِعَـالاَ[2]

يقول: كنتُ في حَوْمَةِ القِتالِ وصَلِيتُ الحربَ أكثرَ ممّا صَلِيَها غيري.

***

ويُرْوَى عن رجلٍ من بني أَسَدِ بن عبدِ العُزَّى - يقال له: فُلانُ[3] بنُ السَّائِبِ - أنَّه زَوَّجَ آبنتَه عَمْرَو بنَ عثمانَ بن عَفَّانَ، فلمّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المِنَصَّةِ[4] فجاء أَبُوها إلى عبدِ اللهبن الزُّبَيْر، فقال: إنَّ عَمْرَو بنَ عثمانَ طلَّقَ آبنَتِي على المِنَصَّة، وقد ظنَّ النَّاسُ أنَّ ذلك لِعَاهَةٍ، وأنتَ عَمُّها، فَقُمْ فآدْخُلْ إليهَا، فقال عبدُالله: أوَ خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ؟ جِيئوني بالمُصْعَبِ، فَخَطَبَ عبدُ الله فزَوَّجَهَا من المُصْعَبِ، وأَقْسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها في لَيْلَتِهِ[5]، فلا تُعرَفُ[6] آمرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ في لَيْلَةٍ[7] غَيْـرُهـا، فـأَوْلَـدَهَـا[8] المُصْعَبُ عيسَى وعُكَّاشَـةَ، فلمّا كـان يـومُ مَسْكِنَ[9] وهَرَبَ أكثرُ الناسِ عن المُصْعَبِ دخل إلى سُكَيْنَةَ بنةِ الحسين بن عليِّ بن

---

(١) في أ وهامش ي: لست ممن. وفي أ: الحي، وفي هامش ي: الناس. وفي أ وهامش ي: فرسانهم.

(٢) في ج: لم أزلْ. وبهامش الأصل: حومة المنية.

(٣) بعده في زيادات ر: «ش: هو عبد الله».

(٤) المنصة سرير العروس ترفع عليه لترى من بين النساء، وكلّ شيء رفعته وأظهرته فقد نصصته. رغبة الأمل ٥/٦٨.

(٥) في أ: في هذه الليلة.

(٦) في الأصل: «في ليلته ففعل ذلك في ليلتين متواليتين، فلا تعرف». ؟

(٧) كذا في الأصل وهامش ي وهو الصواب. وفي ف وج وهـ: في ليلتين غيرُها. وفي ر وظ وهامش ج: في ليلتين ولاءً غيرها. وكتب على «ليلة» بهامش ي: صح.

(٨) في الأصل: قال فأولدها.

(٩) بفتح الميم وسكون السين وكسر الكاف، وكذا قيده ياقوت والبكري، انظر معجم البلدان ٥/١٢٧، ومعجم ما استعجم ١٢٢٧، وقد سلف تحديده ص ٣٥٣ وضبط في ر بفتح الكاف وكسرها.

أبي طالبٍ، وكانت له شديدة المَحَبَّة[1]، وكانت تُخْفي ذلك، فَلَبِسَ غِلالَةً وتَوَشَّح عليها، وٱنْتَضَى السَّيْفَ؛ فلمَّا رأتْ ذلك عَلِمَتْ أنَّه عَزَمَ ألاَّ يَرْجِعَ، فصاحتْ مِن ورائِه: وَاحَرَبَاهْ؟ فٱلتَفَتَ إليها، فقال: أَوَ هذا [٢/١٣٣] لي في قَلْبِكِ؟ فقالت: إي والله، وأكثرُ من هذا، فقال: أمَا لوْ عَلِمْتُ لكانَ لِي ولكِ شَأْنٌ، ثم خَرَجَ، فقال لابنِه عيسى: يا بُنَيّ ٱنْجُ إلى نجائِكَ، فإنَّ القومَ لا حَاجةَ بهم إلى غَيْرِي، وسَتُقْتَلُ
[٣٠٧] بحيلَةٍ أو بُقْيَا، فقال: يا أَبَتَاهُ، لا احدِّثُ والله عَنْكَ أبداً، فقال: أمَا والله لَئِنْ قلتَ ذلكَ لَما زِلْتُ أتَعَرَّفُ الكَرَم في أسْرارِكَ وأنْتَ تُقَلَّبُ في مَهْدِكَ[1]. فَقُتِلَ بين يَدَيْ أبِيهِ، ففي ذلك يقولُ شاعِرُ أهْلِ الشَّأْمِ من اليَمانِيَةِ:

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَباً وعِيسى ... وٱبْنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا
عَمْداً أَذَقْنَا مُضَرَ التَّبْئِيسَا

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجلاً[2]:

فلو كانَ شَهْمَ النَّفْسِ أوذَا حَفيظةٍ ... رَأى ما رَأى في الموتِ عيسى بنُ مُصْعَبِ

وقال بلالُ بن جريرٍ يَمدحُ عبد الله بن الزُّبَيْر: [3]

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْنِي العلاَ ... كَفَّيْهِ حتَّى نَالَتا العَيُّوقَا[4]
ولَوَ ٱنَّ عبدَ الله فَاخَرَ مَنْ تَرَى ... فَاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا
قَرْمٌ إذا ما كَانَ يومُ نُفُورَةٍ ... جَمَعَ الزُّبَيْرَ عليكَ والصِّدِّيقَا

---

(١) بعده في زيادات ر: «ش: الأسرار جمع سرّ، وهي الطرئق في الجبهة».
(٢) سيأتي البيت مع آخرين ص ١٢٧٣.
(٣) بعده في زيادات ر: «يقال: إن بلالاً لم يلحق ابن الزبير، إلا أن يكون مدحه ميّتاً».
(٤) في ر: كنفيه؟. وبعده في زيادات ر: «ويروى كفّيه وهو أظهر، لقوله حتى نالتا». وفي أ: «كفيه» كما أثبت من الأصل وف وظ وج وهـ.

لو شِئْتَ ما فَاتُوك إذْ جَارَيْتَهُمْ[1] ولَكُنْتَ بـالسَّبْقِ المُبِـرَّ حَقِيقَـا
لكنْ أَتَـيْتَ مُـصَلِّيـاً بَـرًّا بِـهِمْ ولقد تَرَى ونَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا[2]

***

عاد الحديثُ إلى تفسير الأبياتِ المتقدِّمة[3]:

قوله: لعلَّك تَحْمِي عن صِحَابٍ بطعْنَة

يقال: «حَمَيْتُ الناحِيَة أَحْمِيها حَمْياً وحِمَايةً»، كما قال الفَرَزْدَقُ[4]:

وإذَا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمَنَ جَأْشَها[5] ثِـقَـةً لهـا بـحِمَـايَـةِ الأَدْبَـارِ

ومعنى ذلك: مَنَعْتُ ودَفعتُ. ويقال: «أَحْمَيْتُ الأرضَ» أي: جعلتُها حِمىً لا تُقْرَبُ، و «أَحْمَيْتُ الحديدَ أُحْمِيهِ إحْماءً» و «حَمَيْتُ أَنْفي مَحْمِيَّةً» يا فتى: إذَا أنتَ أَبَيْتَ الضَّيْمَ.

و «صِحَابٌ»: جمعُ «صاحبٍ» وقد يقالُ: هو جمع «صَحْبٍ»، كما تقول: «تاجرٌ وتَجْرٌ» و «راكبٌ ورَكْبٌ» ونحو ذلك، ثم تَجْمَعُ «صَحْباً» على «صِحَابٍ»، [٣٠٨] كقولك: «كَلْبٌ وكِلَابٌ» و «فَرْخٌ وفِراخٌ» فهذا مذهب حَسَنٌ، ومن قال: هو جمعُ «صاحبٍ» فنظيرهُ «قَائِمٌ وقِيامٌ» و «تَاجِرٌ وتِجارٌ».

وقوله: «لها عانِدٌ يَنْفِي الحَصَا» يعني الدَّم، يقال «عَنَدَ العِرْقُ»: إذا خرج

---

(١) في الأصل وي ود: «حَارَبْتهم».
(٢) في الأصل: ترى لهم عليك طريقاً. وبهامشه كما في المتن. وفي س: إليك صديقاً.
ووقع ههنا خرم كبير في ج ينتهي ص ٧٩٦.
(٣) انظر ص ٦٥٨.
(٤) ديوانه ١/٣٠٤.
(٥) في الأصل وهـ وأ وس: «جشاها». وضبط في ر بالرفع.

الدَّمُّ منه بجِدَّةٍ، و«ينفي [١/١٣٤] الحَصَا» يعني الدَّمَ بشدَّة[١] جَرْيِه، كما قال[٢]:

مُسَحْسِحَةٍ تَنْفِي الحَصَا عن طَرِيقها ..... [٣]

يعني طعنةً، وقال آخرُ[٤] في صفة طعنةٍ:

ومُسْتَنَّةٍ كَآسْتِنَانِ الخَرُو ... فِ قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بالمِرْوَدِ[٥]

والخروفُ ههنا: انما هو الفَلُوُّ[٦] الصَّغيرُ

وقوله:

وأكْرِمْ كَرِيماً إنْ أتاكَ لحاجةٍ ... لِعاقبةٍ إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ

يقولُ: الشجرُ يُصِيبهُ النَّدَى في آخرِ الصَّيفِ فَيَنْشَأُ له وَرَقٌ، فيقولُ: لعلَّك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ.

ومثلُه[٧]:

ولا تُهِينَ الكَرِيمَ عَلَّكَ أنْ ... تَرْكَعَ يوماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

أراد «ولا تُهِينَنْ» بالنون الخفيفة، فحذفها لالتقاءِ الساكنين، وهذا الحكم فيها.

---

(١) بعني الدم ليس في الأصل. وفي الأصل وهـ: لشدّة.

(٢) أبو ذؤيب. ديوان الهذليين ١/٣١، ورغبة الأمل ٥/٧٢.

(٣) عجزه: يطيّر أحشاء الرعيب انثارُها.

وهو كما في زيادات ر من ي وحدها: يقطع أحشاء الرعيب انتثارها.

(٤) هو رجل من بني الحارث. والبيت مع آخر في اللسان (خرف).

(٥) المرود: حديدة توتّد في الأرض يشدّ بها حبل الدابة. رغبة الأمل ٥/٧٢.

(٦) الفلو بفتح الفاء أو ضمها مع ضم اللام وتشديد الواو، ويقال بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: هو الجحش أو المهر.

(٧) للأَضْبَط بن قُرَيع السعدي. والبيت من كلمة له في البيان والتبيين ٣/٣٤١، والشعر والشعراء ٣٨٣، والأغاني ١٨/١٢٩، وأمالي القالي ١/١٠٧، والحماسة الشجرية ١/٤٧٣، والبصرية ٢/٢، وزهر الآداب ٥١٦-٥١٧، والخزانة ٤/٥٨٨، وشرح أبيات مغني اللبيب ٣/٣٧٩، وشرح شواهد شرح الشافية ١٦٠. والرواية: ولا تهين الفقير. ويروى ولا تعاد الفقير ولا تحقرن الفقير، وعليهما لا شاهد فيه.

ومِثْلُ ذلك[1] في المعنى قولُ عَبَّادِ بنِ عَبَّادِ بنِ حَبيبِ بنِ المُهَلَّبِ:

إذا خَلَّةٌ نَابَتْ صَدِيقَكَ[2] فَاغْتَنِمْ ... مَرَمَّتَها فَالدَّهْرُ بالنَّاسِ قُلَّبُ

وبادِرْ بمَعْرُوفٍ إذا كُنْتَ قادِراً ... زَوَالَ اقْتِدارٍ أو غِنىً عنك يُعْقِبُ[3]

ومثلُ هذا كثيرٌ.

وقال جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسين ـ رحمهم الله ـ: إنِّي لأسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّي خَوْفاً من أنْ أَرُدَّهُ فيَسْتَغْنِيَ عنِّي.

وقال رجلٌ من العرب: ما رَدَدْتُ رجلاً عن حاجة فَوَلَّى عنِّي إلاّ رَأَيْتُ الغِنَى في قفَاهُ.

وقال عبدُ الله بنُ العبَّاس بنِ عبدِ المُطَّلِبِ: ما رأيتُ أحداً أسْعَفْتُهُ في حاجةٍ إلا أضاءَ ما بَيْني وبينَه، ولا رأيتُ رجلاً رددتهُ عن حاجةٍ إلاّ أَظْلَمَ ما بيني وبينَه.

وقال عمرُ بنُ الخطاب ـ رحمه الله ـ: مَنْ يَئِسَ من شَيءٍ اسْتَغْنى عنه.

وقال عبدُ الله بن هَمَّامٍ السَّلُولِيُّ[4]:

فأَخْلِفْ وأَتْلِفْ إنَّما المالُ عارَةٌ ... فَكُلُّهُ معَ الدَّهرِ الذي هو آكِلُهْ [٣٠٩]

فأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وأَيْسَرُ هالِكٍ ... على الحيِّ من لا يَبْلُغُ الحيَّ نَائِلُهْ

«عارةٌ» أي مُعارٌ، ووزنه «فَعَلَةٌ».

***

---

(١) في ر: ومثله.

(٢) في د: خليلك.

(٣) بعده في زيادات ر: «زوالَ مفعول لـ «بادِرْ». قاله ش».

(٤) قال الشيخ المرصفي: «كثير من الرواة ينسبه إلى تميم بن مقبل» رغبة الأمل ٥/٧٥.
والبيتان لابن مقبل في ديوانه ق ٢٤/٣٢، ٢٥ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وقال أحدُ المحْدَثين[1] ـ وليس من هذا الباب ولكنَّا ذكرناه في الإعارَة ـ:

أعارَكَ مالَهُ لِتَقُومَ فيه ... بطاعَتِهِ وتَعْرِفَ فَضْلَ[2] حَقِّهْ
فَلَمْ تَشْكُرْهُ نِعْمَتَهُ ولكِنْ ... قَوِيتَ على مَعَاصِيه بِرِزْقِهْ
تُجَاهِرُهُ بِهَا عَوْداً وبَدْءًا ... وتَسْتَخْفِي بها مِن شَرِّ خَلْقِهْ

وقال جريرٌ[3]:

وإنِّي لَأَسْتَحْيِي أخِي أنْ أرى لَهُ ... عَلَيَّ من الحَقِّ[4] الذي لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحملهُ قومٌ على خِلَافِ معناهُ، وإنما تأويلهُ: إنِّي لأَسْتَحْيِي أخِي أنْ يكونَ له عليَّ فضلٌ ولا يكون لي عليه فَضْلٌ ومِنِّي إليه مُكافَأَةٌ، فأستحيي أنْ أرَى له عليَّ حقّاً لِمَا فَعَلَ إليَّ، ولا أفعلَ إليه ما يكونُ لِي به عليه حَقٌّ، وهذا مِن مذاهبِ الكِرَام، وممَّا تأخذُ به أنْفُسَهَا[5].

---

(١) بعده في زيادات ر: «هو محمود الورّاق».

(٢) في أ: بعض.

(٣) البيت نسبه الجاحظُ والبكريُّ لجرير، انظر الحيوان ٣/٤٩٠ و٥/٥٩٥، وسمط اللآلي ٢٨٨ ـ ٢٨٩. وليس في كلمته برواية ديوانه ق ٣ جـ ١/٧٤ ـ ٨١ ولا برواية النقائض ١٧٢ ـ ١٨٠. وسيأتي البيت ص ٧١٩.
وينسب البيت لسيّار بن هبيرة، ولمسكين الدارمي، ولعبد الله بن معاوية، انظر الأشباه والنظائر للخالديين ١/٦٨ ـ ٦٩، وذيل الأمالي ٧٢ ـ ٧٤، وشعر عبد الله بن معاوية ٨٧، وانظر ذيل السمط ٣٧.

(٤) في الأصل: الفضل.

(٥) قال عليّ بن حمزة في التنبيهات ١٤٠ ـ ١٤١: «لم يحمل هذا البيت على خلاف معناه سواه، وهذا الذي تأوله حسنٌ لو كان جرير قصده، وهذا شعر له خبر معروف يدلّ على فساد قول أبي العباس، حكى أبو عبيدة وغيره من العلماء أن جدّ جرير قسم ماله على ولده فسأله جرير أن يلحقه بهم وقال قد صرت رجلاً وكان يرعى مال جده فلم ينفعه ذلك عنده، ولم يعطه شيئاً فقال هذا الشعر يعاتب جدّه، ويبيّن ما قلناه قولُ جرير في هذه الكلمة:

وقائلة والدمع يجدر كحلها ... أبعد جرير تكرمون الموالِيا
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت أيقنت أن لا أباليا
وإني لأستحيي أخي ان أرى له ... علي من الفضل الذي لا يرى ليا

ومثل هذا قول الشاعر

ولست بهيّاب لمن لا يهابني ... ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

وهذا بمذاهب الكرام أشبه من الأول، لأن الأول أداء حقّ، وهذا رفعُ نفس مع أنه الذي أراده جرير وقصده» ا هـ.

فأمَّا قولُ عائِدِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِيِّ[1] لعَبْد الله بن حَسَن بن حَسَن:

لَـهُ حَـقٌّ ولَـيْسَ عـلـيـه حَـقٌّ ومَهْمـا قـال فـالحَسَنُ الجَمِيـلُ
وقـد كانَ الـرَّسـولُ يَـرَى حُقـوقـاً عـلـيـه لِـغَـيْـرِهِ وهُـوَ الـرَّسـولُ[2]

فإنَّهُ ذَكَرَهُ بِقلَّة الإنصافِ، فقال: يَرَى له حقّاً على النَّاس، ولا يَرَى لهم عليه حقّاً، من أجل نَسَبِه بالرسولِ ﷺ، وبيَّن ذلك بقوله:

وقـد كان الـرَّسـولُ يـرى حقـوقـاً عـلـيـه لـغـيـره وهـو الـرسـولُ

فالذي يَفتَخِرُ بهِ عبدُ الله يَرَى للناسِ عليه حقّاً، فالمُفْتَخِرُ بهِ أجْدَرُ.

وقد قيل لعليِّ بنِ الحُسَين، وكان بَيِّنَ الفَضْلِ ـ رحمهُ الله ـ: ما بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نَسَبَكَ أهْلَ الرُّفْقَة؟ فقال: أكْرَهُ أنْ آخُذَ برسول[3] الله ﷺ ما لا [٣١٠] أُعْطِي مِثْلَهُ.

وإنما يَعتري هذا البابُ ـ منَ الظُّلمِ وقِلَّةِ الإنصاف للناسِ[4] والبُعْدِ من الرِّقَّةِ عليهم ـ الجَهَلَةَ من أهلِ هذا النَّسَبِ، والله جَلَّ ذِكْرُه يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿ بالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ إنِّي أَخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ

---

(١) بعده في زيادات ر: «اسمه عبد الله بن مصعب الزبيري، وسمي عائد الكلب بقوله:

مـالي مـرضـت فـلم يـعـدني عـائـد مـنـكـم ويـمـرض كـلـبـكـم فـاعـودُ
واشـد مـن مـرضـي عـلـي صـدودكـم وصـدود كـلـبـكـم عـلـي شـديـدُ».

وبهامش الأصل ما نصه: قيل له عائد الكلب لقوله: مالي مرضت... البيت.

وانظر ترجمته في الأغاني ٢٤/٢٤١، وسمط اللآلي ٥٧٠.

(٢) قال الشيخ المرصفي: «وقد ذكر كثير من الرواة أن البيتين لأبي عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني يهجو بهما الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب قبل أن يلي المدينة لأبي جعفر المنصور...» رغبة الآمل ٥/٧٦.

(٣) في الأصل: كتمت أهل الرفقة نسبك؟ فقال أكره أن أعطي برسول...

(٤) للناس ليس في ر.

(٥) سورة التوبة: ١٢٨.

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1] فإذا كان هُوَ ـ ﷺ ـ يَخَافُ من المعصية فكيفَ يَأْمَنُهَا غيرهُ بهِ؟!

***

وأما قولُ جريرٍ لهشامِ بن عبد المَلك فهو المدحُ الصحيحُ على خلاف هذا المعنى، قال[2]:

وأنتَ إذا نَظَرْتَ إلى هِشامٍ ... عَرَفْتَ نِجَارَ مُنْتَجَبٍ[3] كَرِيمِ
وَلِيُّ الحَقِّ حينَ يَؤُمُّ حَجّاً ... صُفُوفاً بَيْنَ زَمْزَمَ والحَطِيمِ
يَرَى لِلْمُسْلِمِينَ عليه حَقّاً ... كفِعْلِ الوالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ
إذا بَعْضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا[4] ... كَفَى الأَيْتامَ فَقْدَ أَبِي اليَتِيمِ

وفي هذا الشعر[5]:

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ على صِرَاطٍ ... إذا آعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ
أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ جَمَعْتَ دِيناً ... وحِلْماً فاضِلاً لِذَوِي الحُلومِ [١/١٣٥]
لَكَ المُتَخَيَّرَانِ أَباً وخالاً ... فَأَكْرِمْ بالخُؤُولَةِ والعُمُومِ
فَيَآبْنَ المُطْعِمِينَ إذا شَتَوْنَا ... ويَآبْنَ الذَّائِدِينَ عنِ الحَرِيمِ
سَمَا بِكَ خَالِدٌ وبَنُو هِشامٍ ... إلى العَلْياءِ في الحَسَبِ الجَسِيمِ[6]

---

(١) سورة الأنعام: ١٥، ويونس ١٥، والزمر ١٣.

(٢) ديوانه ق ٢٨/٢٠، ٢١، ١٦، ١٨ جـ ١/٢١٩.

(٣) في ف وهـ: منتخب. وضبط في ر بالجيم والخاء.

(٤) كذا في الأصل وف وهو الصواب. وفي سائر النسخ تعرفتنا بالفاء وهو تصحيف.

(٥) الأبيات ٧، ٦، ٨، ٩، ١٢، ١٣، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ١١. وفي الرواية اختلاف.

(٦) في أ وي: الصميم. وبهامش ي كما في المتن.

وبعد هذا البيت في زيادات ر: «وهم أبو العباس في قوله «وبنو هشام» وإنما وقع في شعره «وأبو هشام» وهو الصحيح، يريد إسماعيل بن هشام، وهو جدّه من قبل أمّه». وانظر الديوان ١/٢١٨.

وتَنْـزِلُ مِنْ أُمَيَّـةَ حَيْـثُ تَـلْقى شُؤُونُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعَ الصَّمِيمِ[1]
تَـوَاصَـتْ من تَـكَـرُّمِـهـا قُـرَيْشٌ بِـرَدِّ الخَيْـلِ دامِيَـةَ الكُـلُومِ[2] [٣١١]
فَمـا الأُمُّ[3] التي وَلَـدَتْ قـريشاً بِـمُقْـرِفَـةِ النِّـجَـارِ ولا عَـقِـيمِ
ومـا فَحْـلٌ بِـأَنْجَبَ مِنْ أبـيكُـمْ ولا خَـالٌ بِـأَكْـرَمَ مِـنْ تَـمِـيمِ
سَـمَـا أَوْلادُ بَـرَّةَ بِـنْـتِ مُـرٍّ إلى العَلْياءِ في الحَسَبِ العظيمِ[4]
لَـكَ الغُـرُّ السَّـوابِقُ من قُـرَيْشٍ فَقَـدْ عُـرِفَ الأغـرُّ من البَهِيمِ

قولهُ: «حين يؤمُّ حَجّاً» فيكون «الحجُّ» جمعَ «حاجٍّ» كما يقال «تاجرٌ وتَجْرٌ، وراكبٌ ورَكْبٌ» قال العَجّاجُ[5]:

بِـوَاسِطٍ أكْـرَمَ دارٍ دارا[6] والله سـمَّى نَـصْـرَكَ الأنْصَـارَا

فأخْرَجَه على «نَاصرٍ ونَصْرٍ». قال[7]: ويجوزُ أن يكونَ «حَجٌّ»: أصحابَ حَجٍّ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَاسْـأَلِ القَرْيَةَ﴾[8] يريد: أهْلَها.

وقولهُ: كفعلِ الوالد الرَّؤُفِ الرَّحيم

يقـال «رَؤُفٌ» على «فَعُـلٍ» مثـلُ «يَقُظٍ وحَـذُرٍ» و«رؤوفٌ» على وزن «ضَرُوبٍ». وقال الأنصاريُّ[9]:

---

(١) ضبط في ر: تلقى، بالياء والتاء، وضبط شؤون بالرفع والنصب ومجتمع بالرفع والنصب.
وسيأتي البيت ص ١٠٩٣.
(٢) سلف البيت ص ٣٧.
(٣) بهامش ي ما نصّه: «الأمّ التي ولدت قريشاً بَرَّةُ بنت مُرٍّ أخت تميم بن مرّ، ولدت النضر بن كنانة».
(٤) في الأصل: الكريم، وبهامشه كما في المتن.
(٥) ديوانه ق ٦٥/٣٤، ٦٧ جـ ١٠٧/٢. وسيأتيان ص ٨٤٦.
(٦) بهامش الأصل ما نصه: «قبله:
إذ قدّر المقدر الأقدارا
ونصب «أكرم دار» على الحال، والعامل فيه قدّر».
(٧) كذا، والوجه حذف «قال».
(٨) سورة يوسف: ٨٢.
(٩) بعده في زيادات ر: «هو كعب بن مالك». والبيت من كلمة له في السيرة النبوية ١٢٢/٤.

نُـطِيـعُ نَبِيَّنـا ونُـطِيـعُ رَبّـاً هـو الـرَّحمنُ كـان بنـا رَؤُوفـا

وقد قُرِىء: ﴿ والله رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] و«رؤُوفٌ» أكثر، وإنما هو من الرَّأْفة، وهي أَشَدُّ الرَّحمةِ، ويقالُ «رَآفَـةٌ» وقُرِىءَ: ﴿ وَلَا تَـأْخُذْكُمْ بِهِمَـا رَآفَةٌ في دِينِ الله ﴾[2] على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهَةِ.

وقولهُ: إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقَتْنَا

يُفَسَّرُ على وجهين: أحدُهما: أن يكونَ ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السِّنينَ يُؤَنَّث لأنَّه سنةٌ وسنون[3]، كما قال الأعْشَى[4]:

وتَشْـرَقُ بالقـولِ الذي قَـدْ أَذَعْتَـهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الـدَّمِ

لأنَّ صَدْرَ القناة قَناةٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه، لأنَّ بعضَ الأصابعِ إصْبعٌ، فهذا قولٌ.

والأَجْوَدُ: أنْ يكونَ الخبرُ في المعنى عن المضاف إليه، فأقْحَمَ المضافَ[5] توكيداً، لأنَّه غيرُ خَارجٍ من المعنى، وفي كتاب الله عزّ وجل[٢/١٣٥]: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[6] إنَّما المعنى: فَظَلُّوا لها خاضعينَ، والخضوعُ بَيِّنٌ في

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٧ وسورة آل عمران: ٣٠. وكان في جميع نسخ الكتاب: «إنَّ الله رؤف بالعباد» ولا توجد آية بهذه التلاوة.

اختلفوا في رؤوف حيث وقع فقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي رَؤُف بقصر الهمزة من غير واو. وقرأ الباقون رؤوف بواو بعد الهمزة.

انظر السبعة لابن مجاهد ١٧١، وحجة القراءات ١١٦، والكشف لمكي ٢٢٦/١، والنشر ٢٢٣/٢، والبحر ٤٢٧/١.

(٢) سورة النور: ٢. ورآفة بألف بعد الهمزة قراءة ابن جريج ورويت عن عاصم وابن كثير. انظر النشر ٣٣٠/٢، والبحر ٤٢٩/٦. وقرأ الجمهور رأفة بسكون الهمزة وابن كثير بفتحها.

(٣) في أ: «إلى أن بعض السنين سنون». وضرب في ي على «يؤنث لأنه سنة و». وقوله إذا بعض السنين.. البيت من شواهد الكتاب ٢٥/١، والمقتضب ١٩٨/٤.

(٤) ديوانه ق ٣٤/١٥ ص ١٥٩. والبيت من شواهد الكتاب ٢٥/١، والمقتضب ١٩٧/٤.

(٥) كذا في الأصل وظ وهو الصواب. وفي سائر النسخ: المضاف إليه، وهو خطأ.

(٦) سورة الشعراء: ٤. وانظر تفسير القرطبي ٨٩/١٣.

الأعناقِ، فأَخْبَرَ عنهم، فأَقْحَمَ الأعْناقَ توكيداً، وكان أبو زيدٍ الأنصاريُّ يقولُ: أعناقُهم: جماعاتُهم، تقولُ: أتاني عُنُقٌ من النَّاسِ، والأوَّلُ قولُ عامَّةِ النحويين.

وقال جريرٌ[1]:

لمَّا أتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المَدِينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ [٣١٢]

وقال أيضاً[2]:

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّي كما أخَذَ السِّرارُ من الهِلالِ

وقال ذو الرُّمَّةِ[3]:

مَشَيْنَ كما اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أعَالِيَهَا مَرُّ الرِّياحِ النَّواسِمِ[4]

ومِثْلُ هذا كثيرٌ.

وعلى مِثْلِ هذا القول الثاني تقول: «يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ»[5] لأنَّك أردتَ «يا تَيْمَ عَدِيٍّ» وأَقْحَمْتَ الآخر[6] توكيداً، وكذلك «لا أبَالَكَ»[7] لأنَّ الألفَ لا تثْبُتُ

---

(١) تذييل ديوانه ق ٢٧/٤٨ جـ ٢/٩١٣. والبيت من شواهد الكتاب ١/٢٥، والمقتضب ٤/١٩٧.

(٢) ديوانه ق ١٥٣/٨ جـ ٢/٥٤٦. والبيت من شواهد المقتضب ٤/٢٠٠.

والسرار: ليلتان تبقيان من الشهر، إذا كان تاماً كان سراره ليلتين، وإذا كان ناقصاً كان سراره ليلة وهو أن يستسر القمر بذلك البرج ثم يهلّ بعد يوم، عن الديوان.

(٣) ديوانه ق ٢٤/١٧ جـ ٢/٧٥٤. وروايته: رويداً كما اهتزت. والبيت من شواهد الكتاب ١/٢٥، ٣٣، والمقتضب ٤/١٩٧.

(٤) بعده في زيادات ر: «زعم بعضهم أن البيت مصنوعٌ، والصحيح فيه: مَرْضَى الرياح النواهم. والمرضى: التي تهبّ بلين».

قلت: مرضى الرياح رواية، أما «النواهم» فلم أجدها رواية. وروي «مرضى الرياح النواعم».

(٥) من قول جرير:

يا تيم تيم عديّ لا أبا لكم لا يلقينكم في سوأة عمرُ

وهو من شواهد الكتاب ١/٢٦، ٣١٤، والمقتضب ٤/٢٢٩. وسيأتي ص ١١٤٠.

(٦) كذا في الأصل وهـ وهو الصواب. وفي سائر النسخ: الأول. وبعد قوله «توكيداً» في زيادات ر: «كذا وقع: وأقحمت الأول توكيداً، وإنما الصحيحُ: وأقحمت الثاني توكيداً».

(٧) انظر ما سيأتي ١١٤٠.

في «الأبِ» في النصب إلاّ في الإضافة، أو بدلاً من التنوين، فإنّما أرادَ «لا أبَاكَ» ثم أقْحَمَ اللّامَ توكيداً للإضافةِ، وأنشدني[1] المازِنيُّ:

وقد ماتَ شَمَّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ وأيُّ كَريمٍ لا أبَاكِ يُخَلَّدُ[2]

وقال آخَرُ[3]:

أبِالْمَوْتِ الّذي لَا بُدَّ أنِّي مُلَاقٍ لَا أبَاكِ تُخَوِّفِيني؟

وقولهُ: «على صِراطٍ» فالصِّراطُ: المِنْهَاجُ الواضحُ، وكذلك قالت العلماء في قولِ الله عزّ وجل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾[4].

وقولهُ: «سَمَا بِكَ خالِدٌ» يريدُ: خالدَ بنَ الوليد بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، لأن أُمَّ هشامٍ بنتُ هشامِ بنِ إسماعيلَ ابنِ هشام بنِ المُغِيرةِ[5] بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مخزومٍ، وكان هشامُ بنُ المغيرةِ أَجَلَّ قُرَشِيٍّ حِلْماً وجُوداً، وكانت قريشُ تُؤَرِّخُ بموتِهِ، كما كانت[6] تُؤَرِّخُ بعام الفِيلِ وبِمُلْكِ فلانٍ، قال الشاعر:

زَمانَ تَنَاعَى الناسُ موتَ هِشَامِ

---

(١) في ر: وانشد.

(٢) كذا أنشده المبرد هنا وفيما سيأتي ١١٤٠ وفي المقتضب ٤/٣٧٥. وصواب إنشاده. وأيُّ عزيز لا أبالك يمنعُ وعليه لا شاهد فيه. والبيت من كلمة عينيّة لمسكين الدارمي أورد بعضها الغندجاني في فرحة الأديب ١٣٦ ـ ١٣٧، والبغدادي في الخزانة ٢/١١٦ ـ ١١٧.

والبيت أثبته ناشرو كتاب سيبويه من بعض نسخه، ولم يقع فيما رجع إليه الأعلم والبغدادي من نسخ الكتاب فلم يشرحه الأول ولم يذكر الثاني أنه من شواهد الكتاب. انظر الكتاب ١/٣٤٦ (بولاق)، و٢/٢٧٩ (هارون)، وشواهد الشعر في كتاب سيبويه ص ١٢٤.

ورواية البيت في الكتاب: وأيّ كريم لا أباك يُمَتَّعُ

(٣) هو أبو حيّة النميري. شعره ق ١/٦٧ ص ١٧٧، وتخريجه ثمة. ونسب لغيره.

وهو من شواهد المقتضب ٤/٣٧٥. وسيأتي ص ١١٤٠.

(٤) سورة الفاتحة: ٦.

(٥) كذا وقع، وصوابه «ابن هشام بن الوليد بن المغيرة». انظر ما سلف من التعليق على نسب أخيها إبراهيم بن هشام ص ٥٦٤، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٥١.

(٦) ليس في الأصل وهـ وظ.

ومن أجْلِهِ يقولُ القائلُ[1]:

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً كَأَنَّ الأرضَ لَيْسَ بها هِشَامُ

يقول: هُوَ وإن كان ماتَ[2] فهو مدفونٌ في الأرض، فقد كان يَجبُ من أجله ألّا ينالهَا جَدْبٌ[3]. وقال الآخَرُ[4]: [٣١٣]

ذَرِيني أَصْطَبِحْ يَاسَلْمَ إِنِّي رَأَيْتُ المَوْتَ نَقَّبَ عن هِشَامِ[5]

قوله «نَقَّبَ» أي طَوَّف حتى أصابَ هشاماً [١/١٣٦]، قال الله عز وجل: ﴿ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾[6] أي طَوَّفُوا، ومثلهُ قولُ امْرِىء القَيْسِ[7]:

وقَدْ نَقَّبْتُ[8] في الآفَاقِ حتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإِيَابِ

فأما التأْريخُ الذي يُؤَرَّخُ به اليومَ فأوَّلُ مَن فعلَه في الإسلام عمرُ بنُ الخَطَّاب رحمه الله. حيثُ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ، فقيل له: لو أَرَّخْتَ ـ يا أميرَ المؤمنين ـ لكنتَ تَعْرِفُ الأمورَ في أوقاتِها. فقال: وما التَّأْريخُ؟ فأُعْلِمَ ما كانتِ العجمُ تفعلهُ،

---

(١) وهو الحارث بن أمية بن عبد شمس كما في كتاب حذف من نسب قريش ٦٧، والاشتقاق ١٠١، وشرح أبيات مغني اللبيب ٤/١٧٠ ـ ١٧١. والبيت بلا نسبة في الفاضل ٤٩.

(٢) في الأصل وهـ: قد مات.

(٣) قال ابن السيد في حاشيته على الكامل: «هذا التفسير على قول من جعل «كأنّ» في هذا البيت بمعنى التعجب، فكأنه يعجب من إجداب الأرض وهشام مدفون فيها، وإنما كان ينبغي ألا تجدب لكونه فيها. وقوم يجعلونها بمعنى الشك، ومعناه: إن الأرض أجدبت حتى ظنّ وتوهّم أن هشاماً ليس مدفوناً فيها. وذهب [قوم] إلى أن كأن ههنا للتحقيق أي: إن الأرض أجدبت وهشام ليس فيها أي ليس على ظهرها، وإليه ذهب السيرافي». عن شرح أبيات مغني اللبيب ٤/١٦٩.

(٤) بحير بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير كما في الاشتقاق ١٠١، والوحشيات ٢٥٧. وينسب لأبي بكر بن الأسود بن شعوب الليثي، انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٤/١٧١، وتعليق الشيخين العلّامتين الميمني ومحمود شاكر في الوحشيات.

(٥) روي: أصطبح يا هند، ويا بكر.

(٦) سورة ق: ٣٦.

(٧) في الأصل وف وهـ وظ: ومثله قوله: وقد نقبت... البيت
والبيت لامرىء القيس في ديوانه ق ١١/٩ ص ٩٩.

(٨) في د ومتن ي: «طوّفت» وهي رواية الديوان.

فقال: أرِّخُوا[1]، فقالوا: مُذْ[2] أيِّ سنةٍ؟ فاجتَمَعُوا على سَنَةِ الهجرةِ، لأنَّه الوقتُ الذي حكَمَ فيه رسولُ الله ﷺ على غير تَقِيَّةٍ، ثم قالوا: في أي شهرٍ؟ فقالوا: نَسْتَقْبِلُ بالناس[3] أمورَهم في شهر[4] المُحَرَّم إذا انْقَضَى حَجُّهُمْ، وكانت هجرَةُ رسول الله ﷺ في شهر[5] ربيع الآخر[6]، فَقُدِّمَ التأريخُ على الهجرة هذه الأشهُرَ[7]، وجاءَ في تَصْحِيح[8] هذا الوقت - أعني المحرَّمَ - ما رُوِيَ لنا عن ابن عباسٍ رحمه الله، فإنه قال في قول الله عز وجل: ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[9] قال: أقْسَمَ[10] بِفَجْرِ السَّنَةِ، وهو المحرَّمُ[11]!

وقولهُ: فما الأُمُّ التي ولَدَتْ قريشاً

---

(١) في الأصل وف وظ: فأرخوا

(٢) في ف وهـ ومتن الأصل: من.

(٣) في الأصل: يستقبل الناس.

(٤) ليس في الأصل.

(٥) ليس في ف وهـ.

(٦) بعده في زيادات ر: «الذي اتُّفِق عليه أن هجرة رسول الله ﷺ كانت في ربيع الأول، وفيه مات ﷺ».

(٧) في فتح الباري ٢٠٩/٧ (ط. بولاق): «أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين في تاريخه، ومن طريقه الحاكم، من طريق الشعبي: أنّ أبا موسى كتب إلى عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرّخ بالمبعث، وبعضهم: أرّخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرّخوا بها، وذلك سنة ١٧، فلما اتفقوا قال بعضهم: ابدؤوا برمضان، فقال عمر: بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجّهم، فاتفقوا عليه» ثم نقل آثاراً أخرى وقال: «فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعليّ». أفدته من تعليق الشيخ أحمد شاكر على الكامل ٤٨٨ بتحقيقه.

(٨) في الأصل وف وهـ وظ: «من تصحيح».

(٩) سورة الفجر: ١ - ٢

(١٠) في ر وهـ: فأقسم.

(١١) الرواية المشهورة عنه أن الفجر هو الصبح وهو قول عليّ كرم الله وجهه ومجاهد وعكرمة والسدّي. وفي رواية عن ابن عباس أن الفجر النهار كلُّه. وما رواه المبرد عنه هو رواية عنه أيضاً، انظر تفسير القرطبي ٣٨/٢٠، وتفسير ابن كثير ٤١٣/٨.

وعلّق الشيخ أحمد شاكر على هذا الموضع من الكامل ٤٨٩ بتحقيقه، قال «هذه رواية عن ابن عباس، رواها عنه سعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر، والرواية الصحيحة عنه التي اقتصر عليها الطبري وابن كثير أنّ الفجر هو فجر النهار، وانظر الدر المنثور ٣٤٤/٦» ا هـ.

يعني بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ، وهو أبو قُرَيْشٍ، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِهِ فليس بقُرَشيٍّ، وتميمُ بنُ مُرٍّ خالُهُ.

وكان يقالُ: مَنْ عَرَفَ حَقَّ أخيه دام له إخاؤُهُ، ومَنْ تَكبَّرَ على الناس ورجا أن يكونَ له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسَه.

وقيلَ: ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ، ولا لِسَيِّىء الخُلُقِ عَيْشٌ، ولا لِمُتَكبِّرٍ صديقٌ.

وقيل: مَنْ بَسَطَ بالخير لسانَهُ انْبَسَطَتْ في القُلُوبِ محبَّتُهُ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ.

ويُروى أنَّ شاعراً أتَى أبا البَخْتَرِيِّ[1] وَهْبَ بنَ وَهْبٍ، وكان من أَجْوَدِ النَّاس، وكان إذا سَمِعَ مَدْحَ المادح ضَحِكَ وسَرَى السُّرُورُ في جوانحه، وأَعْطَى وزَادَ، فأتَاهُ هذا الشاعرُ فأنشده:

لِكُلِّ أخِي فَضْـلٍ نَصِيبٌ مِنَ العُـلَا ورَأْسُ العُـلَا طُرّاً عَقِيـدُ النَّدَى وَهْبُ
ومـا ضَرَّ وَهْباً قَـوْلُ مَنْ غَمِطَ العُـلَا كمـا لَا يَضُرُّ البَـدْرَ يَنْبَحُـهُ الكَلْبُ[2] [٣١٤]

فَثَنَى لهُ الوِسادَةَ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ، وحملَهُ وأضافه[3]، فلمَّا أنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ[4] لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غِلمان أبي البَخْتريِّ، ولا عَقَدَ لهَ ولا حَلَّ معه! فأنْكَرَ ذلك مع جَمِيلِ ما فَعَل بهِ وأنَّهُ قد تجاوَزَ بهِ أمَلَه، فَعاتَبَ[5] بعضَهم، فقال [٢/١٣٦]

---

(١) بعده في زيادات ر: «البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة».
(٢) بعده في زيادات ر: «غَمِط: كفر النعمة، وغَمَط، ويقال أيضاً تنقّص».
(٣) في الأصل: وأضافه وحمله.
(٤) في س: الرحيل.
(٥) في ي و د: فعتب.

لَه الغلامُ: إنَّا[1] إنَّما نُعينُ النازِلَ على الإقامةِ، ولا نُعينُ الراحِلَ على الفِراق؛ فبلغَ هذا الكلامُ جَلِيلاً من القُرَشِيِّين، فقال: والله لَفِعْلُ هؤلاء العَبيدِ على هذا القَصْدِ أَحْسنُ من رِفْدِ سَيِّدِهِم!

---

(١) ليس في الأصل و ف و هـ.